

"في التسليم النبويّ"

المجاز في البيان النبوي
—دراسة بلاغية في أحاديث شريفة مختارة—

Metaphor in the Prophetic Statement
A Rhetorical Study in Selected Noble Hadiths

م.د. آمال بولحم

Lect. Dr. Āmal Bu Lihmam

الجزائر / جامعة باتنة ١ / كلية اللغة والأدب العربي / قسم اللغة والأدب العربي

Algeria / University of Batna1/College of Linguistics and

Arabic Literature/ Department of Linguistics and Arabic

Literature

Amel0004@hotmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البَحْثِ:

يُعدّ الحديث النبوي الشريف الأثر الثاني بعد الكتاب الإلهي -القرآن الكريم- من حيث فصاحة نصوصه، وبلاغة قوله وروعة بيانه.

لا مرأى في أنّ الحديث الشريف يتبوأ سلّم البلاغة العاليّة؛ فقد بلغ من البيان الإنساني أعلى مراتبه لا يبلغ شأوه أحد، فيعجز عن بلوغه أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، لأنّه ﷺ أوتي جوامع الكَلِم ونوابغ الحكم، وهذا ما أبرز عظمته وأوضح دلائل نبوّته وعلوّ مكانته، إذ يُعدّ الحديث الشريف ثاني مصادر التشريع الإسلامي، لذا فهو الدستور الذي ينظّم حياة البشر والمسلمين.

ولعلّ تنوع الأساليب البيانيّة في أحاديثه ﷺ هي التي جعلت النّص النبويّ أكثر دقّة في تصوير المعاني الذهنيّة، خاصّة ما يتعلّق بالغيبيّات، فإن محاولة دراسته والغوص في أعماقه وسبر أغواره على قدر كبير من الأهمية

يسعى هذا البحث إلى استجلاء أحد الوجوه البلاغيّة الثلاثة من أحاديثه ﷺ وهو علم البيان الذي يبحث في العناصر الآتيّة: التّشبيه، الاستعارة، الكناية، لتحديد سرّ جمالها وعمق دلالاتها.

إنّ دراسة المجاز من أهمّ وأبرز أبواب البيان والبلاغة وأكثرها استعمالاً في الحديث الشريف، وما زادها عنايةً بالدراسة والتحليل هو تداخل هذه الأساليب البيانيّة في هذا النسيج المحكم المؤطّر بإطار بلاغيّ مائع للعقل والنفس.

الكلمات المفتاحية: البيان النبويّ، الأساليب البلاغيّة، المجاز، البعد الدلاليّ والجماليّ.

Abstract :

The hadith of the Prophet is the second source after the divine book , Glorious Quran with its eloquence , its words and the splendor of its statement.

There is no doubt that the noble hadith occupies so high niche in the orbit of the eloquence . As it reached the highest level of human statement . It is the most eloquent source , the article highlights the most salient features . Yet the Hadith is the second source of Islamic legislation, so it is the constitution that regulates the lives of people and Muslims.

Perhaps the diversity of eloquence styles in his hadiths sets the Prophetic text more accurate in depicting mental meanings, especially with regard to the hidden facts . So it is worth studying and exploring its depths.

This research seeks to clarify one of the three rhetorical aspects of his hadiths ,it is the science of the eloquence that examines the following elements: simile, metaphor, metonymy, to determine the secret of its beauty and the depth of its connotations.

The study of metaphor is one of the most important and prominent part of eloquence and the most used in the hadith . Such an interference of these eloquent devices gives importance to the study in question.

Keywords: prophetic statement, rhetorical methods, metaphor, semantic and aesthetic dimension

المقدمة:

لقد ارتبطت الأحاديث النبوية الشريفة ارتباطاً شديداً بعلم البيان، فجاءت مزدهمةً بصور بلاغيةً متعددة: كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وأسهمت في إقناع المتلقي والتأثير فيه، لما تمتلكه هذه الأحاديث الشريفة من شحنة دلالية مكثفة مستمدة من بعدائها الجمالي والإبداعي.

١- الصورة التشبيهية في الحديث الشريف:

١-١- تعريف التشبيه:

يعدّ التشبيه عمدة البيان ودعامته الرئيسة في تصوير المعاني، بل أبرز وسائل الإيضاح والتأثير في نفوس المخاطبين، فهو طريقة من طرائق التعبير التي يدرك من خلالها القارئ صنعة المبدع في جمعه بين المتباعدات.

أ- لغة:

"شبه الشَّبه والشَّبه والشَّبه المثل والجمع أشباهٌ وأشبه الشيءُ الشيءَ ماثله ... وأشبهتُ فلاناً وشابهته واشتبته عليّ وتشابهه الشيطان واشتبها أشبه كل واحدٍ صاحبه وفي التنزيل مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ وشبهه إياه وشبهه به مثله والمُشْتَبِهَاتُ من الأمور المُشْكَلَاتُ والمُتَشَابِهَاتُ المُتَمَثِّلَاتُ وتَشَبَّه فلانٌ بكذا والتَّشْبِيهُ التَّمثِيلُ"^١

جاء في القاموس المحيط "الشَّبه، بالكسر والتَّحريك: المثل والجمع أشباهٌ، وشابهه وأشبهه: ماثله وتشابها واشتبها، أشبه كل منهما الآخر حتى التبست وشبهه إياه، وشبهه به تشبيهاً: مثله، وأمور مشتبهة ومُشَبَّهَةٌ: مشكَّلةٌ، والشَّبهَةُ بالضَّمِّ الالْتِبَاسُ، والمُثَلُّ^٢. ولا تكاد التعريفات اللغوية للتشبيه تضع حدًا فاصلاً بين التشبيه والتَّمثِيل.

ب- التشبيه اصطلاحاً:

حاول النقاد والبلاغيون أن يخرجوا معنى التشبيه من دائرة التمثيل والمماثلة وعموميّة الأصل اللغوي إلى خصوصيّة المصطلح، وبأنّه: "صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جميع جهاته؛ لأنّه لو ناسبه مناسبة كليّة لكان إياه"^٣، ويعني التشبيه "الدّلالة على مشاركة أمرٍ لأمرٍ في معنى"، وبناء على ما سبق فقد تعدّدت تعريفات البلاغيين للتشبيه إلّا أنّ مؤدّاها هو عقد مشاركة بين شيئين يشتركان في صفة أو أكثر، سواء أُوْجدت الأداة أم لم توجد.

١-١- صور التشبيه:

يعدّ التشبيه من أصول التصوير البياني، ومصادر التعبير الفنيّ، وفيه تتكامل الصورة وتتدافع المشاهد^٤ تنوّعت صور التشبيه في البيان النبوي، وتعدّدت؛ لذا أثرت الدّراسة أن تتقصّى بعض أنواعه وصوره.

أ- التشبيه البليغ: هو ما كان متألّفاً من المشبّه والمشبّه به فقط.

قال عليه السلام: "المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم"^٥.

استعان رسول الله صلى الله عليه وآله بالتشبيه البليغ الذي حذف منه الأداة ووجه الشبه، مبقياً على المشبّه والمشبّه به؛ ليشبّه في ذلك المؤمنين باليد الواحدة في الاتّصال والترابط ضدّ العدو، بالرّغم من كثرة عددهم، واختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، وهذا ما يدعو إليه الإسلام الحنيف.

أ- التشبيه التمثيلي:

وهو ما كان وجه الشبه فيه مركباً أو منتزِعاً من أمور متعدّدة، حسيّاً أو عقليّاً،

وهو ما ذهب إليه "الخطيب القزويني" وجمهور البلاغيين، إذ إنهم لا يشترطون في التشبيه التمثيلي غير الوجه، وهذا هو المذهب المشهور^٧. وقد استطعنا أن نجد نصيباً هائلاً لهذا النوع من التشبيه ومنها على سبيل المثال لا الحصر.

روي عن الرسول الكريم محمد ﷺ "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فأذوهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً"^٨. لأن وجه الشبه صورة منتزعة من متعدد وهذا النوع من التشبيه له وقع عظيم على النفس بوضوح وجلاء مؤيد بالبرهان ليقنع السامع، وإذا جاء بعد تمام المعاني كان كالبرهان الذي تثبت به الدعوى والحجة التي توجب الإذعان"^٩، في هذا الحديث النبوي المتمسك بالدين، والقائم بواجب الدعوة من أمر بالمعروف ونهي عن المنكر بصورة القوم الذين شبه أصابوا أعلى السفينة والذين يتمتعون بمناظر الطبيعة الخلابة وجمال الكون ونضارة الحياة، فقد تأمنت لهم أسباب الرفاهية والراحة، في حين المستهتر بأمور الدين، المرتكب للمنكرات والمعاصي شبهه بصورة الصنف الثاني من القوم الذين أصابوا أسفل السفينة وهم الخاسرون في تلك الرحلة، فهم لا يرون البحر ولا يتمتعون بمناظر الطبيعة وتراهم يعانون في جلب الماء.

وقد تعددت التشبيهات في حديث واحد مثل قول رسول الله ﷺ:

مَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الْأُتْرَجَةِ: رِيحُهَا طيبٌ وَطَعْمُهَا طيبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمَنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الثَّمَرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرِّيحَانَةِ: رِيحُهَا طيبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ

كمثل الحَنْظَلَةِ: ليس لها ريح وطعمها مُرٌّ^{١٠}. فقد ذكر فيها أربعة تشبيهات تشير الى حالات المؤمن والمنافق. فقد شبه رسول الله ﷺ المسلم الذي يحرص على المداومة على قراءة القرآن، بفاكهة الأترجة وهي فاكهة لها طعم طيب وملمس ناعم ورائحة جميلة، الحال نفسه مع المؤمن الذي يقرأ القرآن، ويفهم آياته ويعمل بها، فهو حسن الخلق وطيب في داخله وخارجه، بيد أن ذلك المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل بأحكامه، فقد شبهه رسول الله ﷺ بالتمرة، ذات الثمر الطيب المذاق، لكن لا رائحة له، وأمّا العاصي الذي يقرأ القرآن الكريم، لكنه يرتكب الذنوب والمعاصي فهو كالريحان ذو الرائحة الزكية، والطعم المر، فالذي لا يقرأ القرآن ومستمر في عصيانه، شبهه رسول الأنام ﷺ بالحنظلة، وهي التي لا رائحة لها، وطعمها مر، غير مرغوب فيه.

يقول جلال الدين السيوطي: "فبحسن الألفاظ واختلافها على المعنى الواحد ترصع المعاني في القلوب، وتلتصق بالصدور ويزيد حسنه حلاوة وطلاوة بضرب الأمثلة كالتشبيهات المجازية"^{١١}، فالتشبيه يلعب دورا بارزا وفاعلا في ترسيخ معاني الحديث الشريف في العقول والنفوس.

ب- التشبيه المجمل:

وهو ما ذكر فيه المشبه والمشبه به وأداة التشبيه وحذف منه وجه الشبه؛ فيسمى مجملا لحذف وجه الشبه ومرسلا لذكر الأداة، ومن أمثلته:

قال رسول الله ﷺ ناصحاً:

كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور..
كأنك غريب فيه تشبيه يسمى مرسلاً مجملاً، أمّا أنه مرسّل، فلأن أداة التشبيه وهي (كأن) مذكورة وأمّا أنه مجمل فلأن وجه الشبه غير مذكور والتقدير: كن كالغريب في عدم الاستقرار والتفكير بالملكث وطول الإقامة.

٢- الصور الاستعارية في الحديث النبوي:

تمكّنت الاستعارة هي الأخرى -في العديد من الأحاديث الشريفة- أن تضفي لمسة من الجمال والإبداع، ولتكسب المعنى قوةً ووضوحاً، وتبرز الفكرة والغاية في لوحة فنية بديعة تحلّق بالمتلقّي في سماء التجاوب وتطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية التي يحثّها عليها رسولنا الكريم ﷺ، من خلال آلة الألفاظ الموجزة والمكتّفة المنتقاة بدقّة متناهية، وتصوير بيانيّ بديع، يبعث على الدهشة والتّميّز في الأسلوب.

١-٢- مفهوم الاستعارة:

شغلت الاستعارة حيّزاً كبيراً في فضاء الدراسات البلاغية والنقدية قديماً وحديثاً، فالحديث الشريف هو الآخر لم يكن بمنأى عنها، وهذا ما جعلها تتبوأ مكانة بالغة الأهمية في صناعة بلاغة الخطاب النبوي، وذلك عبر جمعها بين جهتين تبدوان منفصلتين ظاهرياً، ملتحمتين باطنياً، في علاقة إدراكية انفعالية.

أ-تعريف الاستعارة لغة:

جاء في لسان العرب "...استعار الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إيّاه"^{١٢}

ب-الاستعارة اصطلاحاً:

تعرّف الاستعارة عند جمهور البلاغيين بأنّها "من المجاز وهي ما كانت علاقته تشبيه معناه بما وضع له"^{١٣}، أو هي اللفظ المستعمل في غير ما وضع له أصلاً لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. وبذلك تعدّ الاستعارة ضرباً من ضروب المجاز اللغوي علاقته المشابهة.

"الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة"^{١٤}، وهذا تحديد لحيز الاستعارة في العبارة؛ أي على المستوى الدلالي الذي يتجاوز بطبيعة الحال المعنى الأولي، وعليه فقد استقرّ مصطلح الاستعارة "أن تذكر أحد طرفي التشبيه،

وتريد الطرف الآخر مدعيًا دخول المشبه في جنس المشبه به دالا على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به^{١٥}.

٢-٢- هناك من يرد الاستعارة إلى التشبيه وهي تشبيه حذف أحد طرفيه، وهي قسمان مكنية وتصريحية^{١٦}.

أ- الاستعارة المكنية: هي التي حذف فيها المشبه به ورُمز إليه بشيء من لوازمه. إن الاستعارة من الأدوات والأساليب الجمالية الفصيحة التي تستعمل في التعبير النبوي، وذلك لما تضيفه من كثرة المعاني وتعددها بأسلوب وجيز، ولما تعبر عنه من الاقتدار على الكلام والتفنن فيه، وذلك بإخراجه بأساليب لها أثرها العميق في الإقناع والتأكيد، وسيوضح في هذه النماذج من الأحاديث الشريفة.

يقول ﷺ "الصدقة تطفي الخطيئة كما يطفى الماء النار"

فهي استعارة مكنية غايتها الإقناع وتأكيد الصدقة، فقد شبه الصدقة بالماء والخطيئة بالنار وحذف المشبه به (الماء، النار)، تاركا قرينة دالة عليهما هي الفعل (تطفى) على سبيل الاستعارة المكنية.

تعد الاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة، وتفضل ما لا تفعله الحقيقة^{١٧}. في قوله ﷺ: "ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ"^{١٨}.

شبه رسول الأنام ﷺ الإيمان بحلاوة العسل، فأبقى على المشبه وهو الإيمان وحذف المشبه به العسل وترك قرينة لفظية تدل عليه وهي حلاوة على سبيل الاستعارة المكنية، وهو بذلك يقصد ميل القلب إلى الطاعة والانقياد إلى أوامره عز وجل كما يميل الإنسان إلى التلذذ بالعسل.

ب- الاستعارة التصريحية:

روي عن النبي ﷺ أنه كان في سفر، وكان غلام يحدو بمقربة من النسوة يقال له أنجشة فقال النبي ﷺ رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير^{١٩}.

لقد كان (أنجشة) حسن الصوت، وكان يحدو بمجموعة من النساء، وينشد لهنّ، فخاف رسول الله أن يفتنهنّ بشعره، ثمّ امره بالكفّ عن ذلك.

شبه رسول الله النساء بالقوارير نسبة إلى سرعة كسرها وسهولته، لذلك أثر أن يتوسّل بالاستعارة التصريحية التي صرّح فيها بالمشبه به وهي القارورة، وحذف المشبه وهي المرأة، بجامع الرقة بين كلّ منهما.

يقول ﷺ: "وَأَنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ"، وهنا استعار رسول الله المضغة وهي قطعة من اللحم ليقصد بها القلب، فحذف المشبه وصرّح بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية.

وروي عن النبي ﷺ أنه مرّ على القبور فرأى امرأة تبكي عند قبر فقال لها: اتقي الله واصبري، فقالت إليك عني فإنك لم تصب بمصيتي - ولم تعرفه - فقبل لها إنّه: النبي ﷺ فأثت باب النبي فلم تجد عنده بوايين، فقالت: لم أعرفك فقال: إنّما الصبر عند الصدمة الأولى^{٢٠}؛ فالصبر عند الصدمة الأولى عبارة عن استعارة لطيفة، فقد شبه وقع المصيبة على الإنسان بالصدمة، واستعار المشبه به للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية.

من خلال النماذج السابقة الذكر فيمكن التوصل إلى أنّ الاستعارة قد وردت كثيراً في حديثه ﷺ وبدت وسيلة بيانية بالغة الأهمية في تجسيد الأفكار وتشخيصها، بشكل فني أسر؛ وعليه فالاستعارة ليست مجرد أداة تزيينية للكلام، بل هي فنّ قولي يمنح للعبارة والحديث الشريف على وجه الخصوص قوة دلالية لها وقع خاص على نفسيّة المتلقّي؛ وهذه إحدى سمات العبقرية النبوية.

٣-المجاز:

يعدّ المجاز من أنجع الوسائل البيانيّة التي شغلت العديد من المفكرين والبلاغيين، فقد كانت محطّ الأنظار والأبصار لدى مختلف التوجّهات والتخصّصات، لكونها تهدي إلى إيضاح المعنى وتجليته، بوصفها جوهرًا مكينًا، ودعامَةً أساسية يركز عليها الخطاب النبوي الشريف.

١-٣-تعريف المجاز:

أ-المجاز في اللّغة:

جاء في لسان العرب "جزت الطريق وجاز الموضع جوازًا ومجازًا، وجاز به وجاوزه وأجازه غيره وجاهزه: سار فيه وسلكه، وجوزت الموضع جوازًا بمعنى جزته. والمجاز والمجازه: الموضع" ^{٢١}.

المجاز "كلّ كلمة أريد بها غير ما وَقَعَتْ له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت. وبها ما وقعت به في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعًا لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز" ^{٢٢}.

ب-المجاز في الاصطلاح:

المجاز عبارة عن "تجاوز الحقيقة بحيث يأتي المتكلّم إلى اسم موضوع لمعنى فيخصّصه إمّا أن يجعله مفرداً بعد أن كان مركّباً أو غير ذلك من وجوه الاختصاص" ^{٢٣}. "المجاز مفعّل من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، وعدل باللفظ عمّا يوجبه أصل اللّغة وصف بأنّه مجاز على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً" ^{٢٤}.

عرفه ابن جني بقوله: "الحقيقة ما أقرّ في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضدّ ذلك"^{٢٥}؛ فالمجاز هو خلاف الحقيقة حيث تُستعمل كلمات وألفاظ في غير الموضع الذي وضعت له في أصل واضعها.

٢-٣- المجاز:

قسّم أهل البلاغة المجاز على قسمين: مجاز عقلي ومجاز لغوي، ويفرّق بينهما الجرجاني بقوله: المجاز "إذا وقع في الإثبات فهو متلقّى من العقل، وإذا أعرض في المثبت فهو متلقّى من اللغة"^{٢٦}. ف"المجاز اللّغوي قسمان: مرسل واستعارة"^{٢٧} أ-المجاز العقلي:

يعرّف المجاز العقلي بأنّه "هو الذي يقوم على الإسناد"^{٢٨}؛ إسناد الفعل أو معناه إلى ملابس له غير ما هو له بتأويل"^{٢٩}؛ أي إسناد الفعل أو فيما معناه إلى غير ما هو له أن نضع الكلمة أو معناها في غير الموضع الأصلي الذي وضعت له وهو تجوز فهم العقل لا من اللغة، أي لفهمه يجب إعمال العقل ب-المجاز اللّغوي:

كلُّ كلمةٍ مستعملة في غير معناها الأصلي لعلاقة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، ف"المجاز اللّغوي قسمان: مرسل واستعارة"^{٣٠}؛ أي بمعنى إذا كانت العلاقة المشابهة سمّيت استعارة، وإذا كانت غير المشابهة كانت مجازاً مرسلاً. وقد عرّفه "القزويني" بقوله: "هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه"^{٣١}؛ وهذا ما يؤكّد خروج المجاز المرسل من باب التشبيه.

٢-٣- تعريف المجاز المرسل:

هو أحد فرعي المجاز اللّغوي، هي كلمة يكون لها معنى حقيقي، لكن هذه الكلمة تستعمل في معنى جديد لا علاقة له بالمعنى الحقيقي، على أن يكون هناك

ارتباط بين المعنيين من غير علاقة المشابهة، وقد سَمِّيَ مرسلًا لأنَّه لم يقيَّد بعلاقة المشابهة، في حين أنَّ "الفرق أنَّ المجاز أعم حيث أنَّ كلَّ استعارة مجاز وليس كلَّ مجاز استعارة"^{٣٢} كما أنَّ له علاقات شتَّى، وهو غير مقيَّد بعلاقة معينة.

٣-٣- علاقات المجاز المرسل: يأتي المجاز المرسل في حالاتٍ كثيرة، تربط اللفظ المقصود بعلاقة معينة مع اللفظ المذكور، وتأتي كما يلي:

أ- علاقة الجزئية:

وهو ذكر اللفظ الدال على الجزء ويُراد به الكل، "وذلك بأن يطلق لفظ جزء، ويراد به الكل"^{٣٣}، ومن شواهد قوله ﷺ: "اليد العليا خير من اليد السفلى"، وفي الحديث مجاز مرسل علاقته الجزئية؛ حيث أطلقت اليد العليا وهي الجزء على الكل الذي يقصد به المنفق، واليد السفلى التي يقصد بها المحتاج الذليل.

من أمثله أيضًا: قول رسولنا الكريم ﷺ: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"^{٣٤}؛ وفي هذا يقصد شخصان لا تمسهما النار؛ فأطلق العين وهي الجزء على الكل وهو الشخص أو الإنسان المتقي الذي يبكي من خشية المولى، والقوام آناء الليل.

ب- علاقة الكلية:

وهي شاملة لكلِّ شيء للمعنى المقصود ولغيره وتعريفها عند علماء البلاغة؛ "أنَّ يطلق لفظ الكل"^{٣٥}؛ أي أنَّه يقصد الجزء ويذكر الكل، عن النبي ﷺ: "والذي نفسُ محمدٍ بيده لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"^{٣٦}؛ فقد أراد ﷺ أن يطبق حدًّا من حدود الله، وهو تنفيذ حكم القطع على اليد لا على الكف.

يقول ﷺ: "إنَّ الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم"، وهنا يذكر رسول ﷺ - الكل ويريد به الجزء، فالجسم والصورة ليس

محلّ النظر وإنّما القلب والعمل؛ ومن ثم فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى الصور والأشكال والجمال والكمالات الجسمانيّة، وإنّما يكون نظره إلى ما يقرّر في القلوب من الإيمان والتّقوى والأعمال الصالحة.

ومن أمثلته أيضا: قوله ﷺ واصفا أهل اليمن: " أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرْقُ أَفْعَدَّةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَّةٌ " ^{٣٧} ففي قوله أتاكم أهل اليمن مجاز مرسل علاقته الكلية؛ لأنّ أهل اليمن لم يأتوا كلّهم بالطبع، وإنّما قصد الذين أتوا منهم فقط، فأطلق الكلّ وأراد الجزء فالعلاقة الكلية.

ج-المحليّة:

بأن يطلق لفظ المحل، ويراد منه الحال، أي تعني هذه العلاقة ما "أطلق اسم المحل على الحال وبالعكس"، وأريد من جميع صورها المبالغة في التّعبير عن المعنى الحقيقي. ومن شواهد. روى "زيد بن ثابت: كنّا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع، فقال رسول الله ﷺ: طوبى للشام، فقلنا: لأيّ ذلك يا رسول الله؟ قال: لأنّ ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها" ^{٣٨}، فقد أطلق الرسول ﷺ المحل وهو الشام، وأراد علاقة المحليّة.

د-الآليّة:

وذلك بأن يطلق اسم الآلة ويراد منها ما ينتج عنها، من شواهدها: قول الرسول ﷺ عندما سأله أصحابه عن أفضل المال قال: أفضله لسان ذاك، وقلب شاكر، وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه" ^{٣٩}؛ وعلاقة المجاز المرسل هنا واضحة، فرسول الله استخدم اللسان آلة الذكر، والقلب آلة للشكر والحمد.

بناءً على ما سبق فإنّ المجاز المرسل في الخطاب النبوي يؤدي إلى إثارة الفضول لمعرفة أمور ديننا الحنيف، ومن ثمّ الاعجاب والدهشة التي تتخلّق في الذهن لغة ودلالة، وصولاً إلى التّعبير عن المعنى المراد بإيجاز.

٣- الكناية:

تندرج الكناية تحت مظلة علم البيان، والتي يستتر فيها المعنى الحقيقي وراء وجوه متعددة يتأرجح فيها المعنى الحقيقي وراء معنى آخر، يؤدي التوصل المكنى عنه الدور الأكبر فيها.

يعدّ أسلوب الكناية في البلاغة العربيّة من أهمّ الأسباب التي يلجأ إليها الأدباء لتحقيق الغايات في الكلام، وإخفاء المعنى الصريح وصولاً إلى المعنى الخفي المستبطن في أثناء النصوص.

تعدّ بلاغة النبي ﷺ من أبرز مظاهر عظمتها، وأجلّ دلائل نبوته، وليزيد المعنى وضوحاً وإكسابه تأكيداً تراه يتوسّل بالكناية، وهو في ذلك لا يقصد تزيين اللفظ وزخرفته بل ينتهج نهج الإيجاز والإلماح، وهذا من أرقى مستويات البلاغة في الكلام، التي يجمع فيها فصاحة اللفظ وحلاوته لتبليغ الدين وهداية الإنسانية.

٣-١ - مفهوم الكناية لغة:

هي مصدر كنيت عن كذا أو كنوت عنه إذا تركت التصريح، وجاء في لسان العرب "الكناية أن تتكلّم بشيء وتريد غيره وكنى عن الأمر بغيره يكنى كناية يعني إذا تكلّم بغيره ممّا يستدلّ عليه، وتكنى: تستر، من كنى عنه إذا وري: أو من الكنية"^{١٠٠}؛ وعليه فالكناية في معناها اللغوي مرتبطة بالستر والخفاء، والمدلول للكلمة يفيد أنّ معناها يرجع إلى ترك التصريح بالشيء والتعبير عنه بشيء آخر من لوازم ذلك الذي لم يفصح عنه.

أ- الكناية اصطلاحاً:

عرّفها البلاغيون بأنّها "ترك التصريح بشيء يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول فلان طويل النجاد إلى ما هو ملزومه، وهو طول القامة"^{١٠١}، وقد عرّفها

السَّكَاكِي قائلا: " الكناية تتفاوت إلى تعريض، وتلويح، ورمز، "٢". وبناء عليه فالكناية أبلغ من الإفصاح عن الشيء، لما تتميز به من دقة وغموض، وهذا ما يضيف جمالية من نوع خاص في تحسين الكلام وتزيينه وتوكيده.

٤-٢- أقسام الكناية:

قسّم علماء البلاغة الكناية على أقسام عدة مختلفة، فقسموها باعتبار المكنى عنه أقساما.

أ- كناية عن صفة:

وهي التي يكون فيها اللفظ المكنى به دالاً على صفة مقصورة في اللفظ المكنى به. ومن مثلها يقول ﷺ: "من مسح رأس يتيم - لم يمسه إلا الله - كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ٣". فمسح رأس اليتيم كناية عن الشفقة والرحمة، وهذا دلالة على صفة السخاء والكرم، فكنتى رسول الله عن هذا المعنى بطول اليد وبسطها، وقد أراد من وراء ذلك أن يخص المرأة بحظّ أوفر على الصدقات والعطاء لما فيها من الأجر والثواب عند الله تعالى.

وقال رسول الله ﷺ: يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ! لَا تَتَوَسَّدُوا الْقُرْآنَ وَاتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ آثَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ٤؛ وهذا يعني ألا نجعل القرآن وسادة وننام عليها، بل نتلوه آثاء الليل وأطراف النهار، وهذه كناية عن التغافل والتكاسل في قراءة القرآن الكريم، وتدبر معانيه ودلالاته.

ب- كناية عن موصوف:

تعدّ الكناية من الفنون البلاغية التي تنحو نحو القليل من الألفاظ والكثير من القوة والتأثير في المتلقي، وهذا ضرب آخر منها وهو الكناية عن موصوف الذي ورد كثيرا في أحاديث النبي ﷺ نظرا إلى مكانتها عنده منها: وهي التي يكون اللفظ

المكنى به دالا على موصوف معين، ويشترط أن تكون الكناية مختصة بالمكنى عنه لا تتعداه حتى يحصل الانتقال منه إليه، ومن شواهد:

قوله ﷺ "اجتنبوا قذف المحصنات المؤمنات الغافلات" ^{٤٥}.

قوله: "الغافلات" كناية عن البريئات اللاتي غفلن عما بهتن به من الزنا.

ج - كناية عن نسبة:

يصرح في هذا النوع من الكناية "بالصفة والموصوف ولا يصرح بنسبة الصفة إلى الموصوف، بل يُكنّى عن النسبة بنسبة أخرى تستلزمها" ^{٤٦}.

ويقصد به إثبات حق موصوف معين أو نفيه عنه بطريق غير مباشر وإما بشيء يتعلق به، بيد أن هذا النوع من الكناية قليل جدا في الأحاديث الشريفة إذا ما قارناه مع الأنواع الأخرى، ومن شواهد:

يقول ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا" ^{٤٧}؛ فقد نسب الشد الذي هو بمعنى التكاتف إلى البنيان، وهو يقصد نسبته إلى المؤمن.

يقول ﷺ أيضا: "إنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ هما ريحانتاي من الدنيا" ^{٤٨}؛ وهنا كناية عن شدة الحب، وموضع الرحمة، والشفقة، والعطف عليهما، ومن جهة أخرى تعظيم مكانهما ومنزلتهما عنده.

١-٣- بلاغة الكناية في الحديث النبوي:

تؤكد الكنايات النبوية الشريفة على تناسق البلاغة النبوية في تركيزها على أمر مهم يتصل بمقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وذلك يعود لما تمتلكه من مزايا وسما تضيفي على المعنى جمالا، وتزيده قوة في إبراز المعاني وتجسيدها بصورة محسوسة ومؤثرة في العقل والوجدان.

الخلاصة:

توصلت الدراسة إلى استنطاق وكشف ما في الخطاب النبوي من بلاغة وحُسن بيان وتصوير في تناسق وانسجام، والتي انعكست على الجانب الدلالي والجمالي والانفعالي والعبادي لتخاطب بدورها العقل والوجدان.

البيان النبوي الشريف يفيض بنماذج كثيرة من التشبيهات والاستعارات والكنيات، وما هذه النماذج إلا غيُض من فيضٍ، فجاءت حافلة بالصور البيانية التي لعبت دوراً بارزاً في إيضاح المعاني وبيان الفكر للكشف عن الحقائق التي أرسل من أجلها ﷺ وتوضيحها، وقد تنوّعت هذه الصور بين التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية.

لقد كان حريّاً بهذه الدراسة أن تقف عند بعض الفنون البيانية السابقة، مستخرجة ثمين دررها من كلام سيد العرب والعجم، مبثوثة في أحاديثه التي تشرح الصدور، وتمتع العقول والقلوب.

إنّ الهدف من الدراسة البيانية للحديث الشريف لا تقف عند حدود استخراج صور البيان وأنواعه، بل يجب البحث في غاياته وأبعاده، فقد استخدمت لاستنباط حكم ما في قضايا متعددة إما سلوكيّة أو أخلاقيّة أو عقديّة.

ما يزال الحديث الشريف ميدانا خصبا وفسيحاً للبحث في خباياه، ولاسيما في جوانبه البيانية ؛ لذا فقد اتضح في النماذج السابقة مدى جمالية الاستعارة في الحديث النبوي، فقد وظّفت لتوضيح وتقريب كثير من المعالم والأفكار من خلال إعمال عنصر المشابهة بين أمور الدين وأمور ماديّة محسوسة للتجسيم والتشخيص من جهة، وإقناع المتلقي وإفهامه بأسلوب جماليّ آخاذٍ من جهة أخرى.

هوامش البحث:

- (١) أبو الفضل جمال الدين ابن منظور لسان العرب، مادة (شبه) ج١، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ٥١٤١٤، ص٢٣
- (٢) أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الكتب اللبنانية، لبنان، ط١، ٢٠٠٤، ١٤٢٥، ص١٥٠٠
- (٣) ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، ج٢، دار الجليل، بيروت، لبنان، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٧٢، ص٢٥٦
- (٤) جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبدیع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣، ص١٦٤
- (٥) محمد علي الصغير، أصول البيان العربي، دار الشؤون الثقافية العربية، بغداد، ص٦٤
- (٦) سنن أبي داود ٤٨٨-٧٣ / ١ / ٤٦٩٢
- (٧) أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج٢، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٧، ص١٨٥
- (٨) محمد علي الصابوني، من كنوز السنة، رواه البخاري و الترمذي، دار البعث، قسنطينة، ط٢، ١٩٨٦، ص٢٧
- (٩) المرجع السابق، ص٢٩
- (١٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، رقم الحديث، ٥٤٢٧، ج٩، ص٦٣٤
- (١١) جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، صححة: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٣٧، ٣٨
- (١٢) ابن منظور، لسان العرب، ج٤، ص٦١٨
- (١٣) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص١١٢ .
- (١٤) فاضل عبود التميمي، حضور النص - قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب -، دار مجدلاوي، عمان، ط١، ٢٠١٢، ص١٦
- (١٥) المرجع نفسه، ص٣٥، ٣٦
- (١٦) ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، ط١٠، ١٩٦٤، دار المعارف، مصر، ص٧٧.
- (١٧) ابن رشيق القيرواني، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، لبنان، ١٩٧٢، ص٤١

- ١٨) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، رقم ١٦، ج ١، ص ٢٤، عن أنس . رضي الله عنه.
- ١٩) البخاري، صحيح البخاري، رقم الحديث: ١١١١
- ٢٠) محمد علي الصابوني، من كنوز السنة، ص ٨٩
- ٢١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ج از)
- ٢٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٣٢٥
- ٢٣) ابن حجة الحموي، خزنة الأدب وغاية الأرب، مكتب البيان، بيروت، د ط، دت، ص ٤٣٦
- ٢٤) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٣٦٥
- ٢٥) ابن جني، الخصائص، تح: عبد الحميد هندواي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٠٢
- ٢٦) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٣٦٥
- ٢٧) أحمد مطلوب، دراسات بلاغية ونقدية، دار الرشيد للنشر، بغداد، د ط، ١٩٨٧، ص ٩٥
- ٢٨) المرجع نفسه، ص ٩٣
- ٢٩) الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مطبعة علي صبيح وأولاده بالأزهر، القاهرة، د ط، ١٩٩٧، ص ١٩
- ٣٠) أحمد مطلوب، دراسات بلاغية ونقدية، ص ٩٥
- ٣١) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص ٢٩٥
- ٣٢) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤ م، ص ٤٧
- ٣٣) غازي يموت، أساليب علم البيان، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥، ص ٢٢٠
- ٣٤) سنن الترمذي، الحديث رقم: ١٦٣٩، ص ٣٨٥
- ٣٥) سنن الترمذي، ص ٢٢٢
- ٣٦) البخاري، صحيح البخاري، ص ٥٦٦
- ٣٧) سنن الترمذي، حكم على أحاديثه وآثاره، وعلق عليه محمد الألباني ناصر الدين، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، د.ت. رقم الحديث: ٣٩٥٣، ص ٨٨٢
- ٣٨) سنن الترمذي، الحديث رقم: ٣٩٥٤، ص ٨٨٥
- ٣٩) م . ن . ن، رقم الحديث: ٣٠٩٤، ص ٦٩٤
- ٤٠) ابن منظور، لسان العرب، مادة كنى، ج ١٥، ص ٢٣٣

- (٤١) أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، تح: نعيم زرزور، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط ١، ١٤٠ هـ - ١٩٨٧، ص ٤٠٢
- (٤٢) المصدر نفسه
- (٤٣) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٣، د ت، ص ١٣٨٨
- (٤٤) الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ص ٦٧٦
- (٤٥) المصدر نفسه، ص ٢٢، ٢٣
- (٤٦) عز الدين علي السيد، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، د ط، ١٩٧٣، ص ٢١٧
- (٤٧) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، أعده مصطفى ديب البغا، دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر، ج ١، رقم الحديث: ٤٦٧، ص ٨٢
- (٤٨) سنن الترمذي، رقم الحديث: ٣٧٧٠، ص ٨٥٢

قائمة المصادر والمراجع:

- *الحموي، ابن حجة. د.ت. خزانة الأدب وغاية الأرب. مكتب البيان، بيروت. د.ط.
- *القيرواني، ابن رشيقي. ١٩٧٢. العمدة في صناعة الشعر ونقده: تح: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت، لبنان.
- *بن جنّي، أبو الفتح عثمان. ٢٠٠٤. الخصائص: تح: عبد الحميد هندراوي. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١.
- *ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين ت ٧١١هـ. ١٩٩٣، ١٤١٤هـ. لسان العرب. ج١، دار صادر، بيروت. ط١،
- *أبادي، أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز. ٢٠٠٤، ١٤٢٥هـ. القاموس المحيط. دار الكتب اللبنانية، لبنان. ط١.
- *البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. د.ت. صحيح البخاري: أعدّه مصطفى ديب البغا. دار الهدى للطباعة والنشر، الجزائر. ج١.
- *البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. د.ت. كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان. ج١.
- *الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. د.ت. سنن الترمذي: حكم على أحاديثه وآثاره، وعلّق عليه: محمد الألباني ناصر الدين. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- *السكّاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي. ١٩٨٧. مفتاح العلوم: تح: نعيم زرزور. بيروت، دار الكتب العلميّة. ط١.
- *الهاشمي، أحمد. ١٩٩٩. جواهر البلاغة. مكتبة الآداب، القاهرة. د.ط.
- *مطلوب، أحمد. ١٩٨٧. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها. ج٢. مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- *بن منقذ، أسامة. ١٩٩٠. البديع في نقد الشعر: تح: حامد عبد المجيد. مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
- *السيوطي، جلال الدين ت ٩١١هـ. ١٩٩٨. المزهري في علوم اللغة وأنواعها: صححه: فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١.
- *القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمان الخطيب. ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م. الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع. دار الكتب العلمية، بيروت. ط١.
- *الجرجاني، عبد القاهر ت ٤٧١هـ. ١٩٩٢م- ١٤١٢. أسرار البلاغة: تح: محمود شاكر. دار المدني، جدة. ط١.
- *الجرجاني، عبد القاهر ت ٤٧١هـ. ٢٠٠٤. دلائل الإعجاز: تح محمد محمود شاكر. مكتبة الناخجي، القاهرة. ط٥.
- *علي السيد، عز الدين. ١٩٧٣. الحديث النبوي من الوجهة البلاغية. دار الطباعة المحمدية، القاهرة. د.ط.
- *الجارم، علي. مصطفى أمين. ١٩٦٤. البلاغة الواضحة. دار المعارف، مصر. ط١٠.
- *يموت، غازي. ١٩٩٥. أساليب علم البيان. دار الفكر اللبناني، بيروت. ط٢.

- *التميمي، فاضل عبود. ٢٠١٢. حضور النص - قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب. دار مجدلاوي، عمان. ط ١.
- *الصابوني، محمد علي. ١٩٨٦. من كنوز السنة: رواه البخاري و الترمذي. دار البعث، قسنطينة. ط ٢.
- *التبريزي، محمد بن عبد الله الخطيب. د. ت. مشكاة المصابيح: ت: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي. ص ١٣٨٨. ط ٣.
- *الصغير، د. محمد علي. د. ت. أصول البيان العربي. دار الشؤون الثقافية العربية، بغداد. د. ط.